عبدالعزيز التويجري

قرن من التاريخ

السياسة والأدب و

د. عبدالرحمن الشبيلي

مقدمة :

مضى على بدء تكوين المملكة العربية السعودية قرن وستة أعوام (ميلادية)، عندما انطلق مؤسسها الراحل الملك عبدالعزيز من الكويت عام ١٩٠٢م، ليعيد عبر مسيرة جهادية وسياسية دامت نحو خمسة وخمسين عاما، مجد الدولة السعودية التي بدأت على يد جده الخامس (محمد بن سعود) في القرن الثامن عشر الميلادي (١٧م)

دون توقف

منشئها

كان هو، ولما يكن قد بلغ الثانية والعشرين من عمره، قد تجرع مرارة انقسام أعمامه، وتفلت دولتهم، وتشتت أسرته، فأقدم مدفوعاً بالعزيمة والعبقرية الفطرية المبكرة، مجيداً لعبة شطرنج السياسة وبراعة النزال، وتكتيك التعامل مع القبائل، حتى استطاع في غضون عقدين ونصف أن يخلي الجزيرة من الأتراك، ويضم أطراف الجزيرة في دولة مهيبة واحدة، لم يكن يعينه في ذلك سوى الحظ والتوفيق، والإرادة والحنكة، والسيف والفرس، والرجال الأوفياء المخلصين، في أسطورة

لم يماثلها سوى

نماذج نادرة جداً من قصص التاريخ.

اصطفاء الرجال

أحاطت حول الملك عبدالعزيز منذ الأيام الأولى لمسيرته التوحيدية، نخبة من رجالات نجد، كان منهم من رافقه رحلته الأولى، وكان منهم زعماء قبائل وعشائر، وأبناء عمومة وأصهار، وأمراء أقاليم يتوقون إلى إنهاء سنوات الضعف والتشتت، ثم أحاط به رجال اصطفاهم ممن تعلم في الهند ومصر والعراق والشام، وانضم إليه مع تقدم نجاحاته رجال كانوا موالين لخصومه في الأحساء وحائل والحجاز، ثم تحولوا لنصرته، ومع الأيام، اجتمعت لديه منظومة أخرى خاصة من المستشارين من بلاد الشام ولبنان والعراق وفلسطين ومصر وليبيا وبريطانيا وغيرها،

من أعيان نجد والأحساء

كان من بالغ المهارة أن تجدهم، ومن البراعة أن توظف قدراتهم، ومن الكياسة أن تمزج مواهبهم، وتحافظ على إيقاع حماستهم وشد ولائهم.

هنا، نقف أمام عينة من هؤلاء الرجال الذين شهدوا ميلاد الدولة الجديدة (في عهدها الثالث كما هو متعارف عليه) وأسهموا في بدايات تأسيسها، وأدركوا العقود الخمسة والنصف التي تمثل فترة مؤسسها الراحل (1902 - 1952) وهم بالعشرات، فقدتهم المملكة العربية السعودية - وفق سنة الحياة - واحداً واحداً، حتى لم يبق منهم الآن سوى أعداد يسيرة من المسنين.

الذي حكم البلاد بين عامي

وقد توفي قبل نحو عقدين ، وكان من أبرز طاقم الإدارة المالية في عهد الملك المؤسس في فترة مبكرة

أربعة أشقاء

كان من أواخر هؤلاء العمالقة من أسرة التويجري (من عنزة) قبيلة وهي العائلة المعروفة في المجمعة (إقليم سدير) ١٥٠ كم شمال الرياض ، الأول هو حمد التويجري الذي تولى "مالية" الإقليم (سدير) ثم القصيم ، يليه في العمر أخوه محمد ، الذي توفي مبكراً ، ثم أخوهم الثالث عبدالعزيز - موضوع هذا المقال - الذي توفي فجر يوم الأحد (10/6/2007) وأخيراً أخوهم عبدالله حفظه الله الذي تقلب في عدد من الوظائف في الديوان الملكي كان آخرها عمله في الشعبة السياسية في عهد الملك عبدالعزيز.

سيرة وميرة :

إذا كانت شخصية المقال قد عاش نحواً من (95) عاماً فإن ذلك يعني أنه من مواليد بداية العقد الثاني من القرن الماضي (1912) ، وهو ما يعني في سلسلة الحوادث الواقعة في الجزيرة العربية مقاربة ضم إقليم الأحساء إلى إمارة نجد ، وانتهاء عهد الخلافة العثمانية في شرق الجزيرة العربية والخليج ، لكنه - شأن كثير ممن ولد في تلك الفترة المشغولة بالحوادث المتتالية - لم يدرك إلا العلوم التقليدية السائدة في تلك الفترة في الكتاتيب وحلق المساجد ،

سيرة ومسيرة :

ولد صاحب السيرة ، وفق أرجح الأقوال ، في حدود عام 1912 ، وهو ما يمثل في سلسلة حوادث الجزيرة العربية انتهاء الحكم العثماني في الأحساء وعودة الإقليم إلى الحكم السعودي في نجد ، وكان - شأن كثير من أبناء جيله ومنهم حمد الجاسر وعبدالكريم الجهيمان ، لم ينل حظاً من التعليم الحديث في بلداتهم التي ولدوا فيها ، وبينما انصرف الأخيران إلى طلب العلم في الحجاز بعد انتهاء حكم الأشراف ، اتجه التويجري ، متأثراً بأخيه الأكبر حمد ، نحو الإدارة ، فخلفه في الإشراف على مالية سدير في مطلع الثلاثينيات الميلادية (فترة توحيد المملكة تحت اسمها الحالي) ، وكان في الوقت نفسه يحتك بالأدباء والمثقفين ويجالسهم ، ويطور نفسه بنفسه ، وقد تأثر كثيراً في صغره بأدب المتنبي ، وصارت له اهتمامات بتتبع التاريخ متأثراً بكتابات ابن خلدون

حظي بثقته وتوطدت به معه

سياسياً ، قادته الظروف إلى أن يلتحق في مطلع الستينيات برئاسة الحرس الوطني ، ملازماً لرئيسه آنذاك (الملك الحالي) عبدالله بن عبدالعزيز ، الذي عرى من المحبة الصافية والمشورة المخلصة ، والعون الصدوق ، وهنا توافرت للتويجري فرص رفادة رئيسه بالرأي الناضج ، وأخذ ينحى بالحرس الوطني وجهة المزج بين الفروسية والثقافة والخدمات الاجتماعية ، وكان مهندس ما يعرف لاحقاً باسم المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية الذي بدأ في شكل مهرجان لسباق الهجن ثم أصبح معلماً ثقافياً بارزاً يضاهي أمثاله في القرين وأصيلة والمربد وقرطاج .

لقد بلغ من اهتمام التويجري ومن أحاط به من مسؤولي الحرس الوطني ، أن جعل من تلك المؤسسة التي ~~[illegible]~~ - عندما تذكر - تعرف بالسمة العسكرية ، مؤسسة ثقافية اجتماعية ~~[illegible]~~ تحتضن الإبداع ~~[illegible]~~ التراثي ، ~~[illegible]~~ والتدوين التاريخي ، والمعارف المتنوعة ، فصدرت عنها كتب في غاية الأهمية من التوثيق الشفوي ، مستفيدة من عمق معرفتها برجال القبائل وزعماء العشائر وصلتها الوثيقة بالبادية .

أما عبد العزيز التويجري نفسه ، فلقد برز في العقود الثلاثة الأخيرة من حياته ، عاشقاً للأدب ، متيماً بتراث المتنبي ، شغوفاً بالتاريخ ، متميزاً بثلاث سمات :